الموسوعة الصغيرة

١٤

الثقافة والتنظيمات الشعبية

عبد الغني عبد الغفور

للموسوعة الصغيرة

١٤

الثقافة والتنظيمات الشعبية

عبدالغني عبدالغفور

منشورات وزارة الثقافة والفنون

١٩٧٨ الجمهورية العراقية

مدخـــل

للاعلام والثقافـــة دور بارز في التنميـــة السياسية والاجتماعية والاقتصـــادية للجماهير ، وذلك بحكم العلاقة التي تربط الانســـان باجهزة الثقافة والاعلام والتي لم تعد كمالية وانما اصبحت ضرورية حياتية .

وهذا ما اشره حزب البعث العربي الاشتراكي في ادبياته واستخدم هذه العلاقة (بين الانســـان والاعلام) استخداما علميا وعقلانيا متميزا في القطر العراقي حيث النموذج البعثي للثورة العربية .

فالتفاعل بين تقاليد الحزب الاعلامية الداخلية وتثقيفه للجناز الحزبي وبين تقاليد الاعلام الرسمية كان تفاعلا حيا ينطلق من نقل تقاليد الحـزب فـي الاعلام والثقافة الى الاجهزة الرسمية في هـــذا المجال(١)

كما اشار الى ذلك الرفيق المناضل صـــدام حسين الامين العام المساعد للحـزب نائب رئيـس مجلس قيادة الثورة في حديثه عن انتصار الاول من حزيران وتاميم النفط واهمية هذا التفاعل حيث قال السيد النائب :

---

١ ـ انقلوا تقاليد الحزب الى اجهز الدولة ولا تستعيروا تقاليد الدولة في الحزب « الرفيق النائب »

« ان الشعار الذي رفعته اجهزة الاعلام في الفترة ما بين ١٧ ايار والاول من حزيران ــ شعار (لا تخاذل والى امام) والذي تحول الى اغان واهازيج رددتها الجماهير ، كانت قد تضمنته نشرة داخلية موجهة الى الجهاز الحزبي حول المجابهة مع الاحتكارات وكانت جريدة (الثورة) توضح الموقف باستمرار ، وتصعد المعركة يوميا باتجاه لا يمكن ان ينتهي بموقف تقليدي »(٢)

وفي هذا الكراس موضوعات عن اجهزة الاعلام والثقافة واهميتها فيالتنمية ودور المنظمات الجماهيرية في العمل لزيادة التفاعل بين الوسائل الاعلامية وبين الجمهور باتجاه التنمية وبناء المجتمع النموذج للثورة العربية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ..

عسى ان اكون قد اسهمت اسهامة متواضعة في هذا المجال ..

والله الموفق .

عبدالغني عبدالغفور

---

٢ ــ احاديث في القضايا الراهنة (كراس للرفيق النائب)

الثقافة .. والتنظيمات الشعبية

ما هي الثقافة ؟ .. وما هي الجماهير ؟ وبعد ذلك ماذا يعني اصطلاح الثقافة الجماهيرية الذي اصبح ملازما لحركة التوعية العامة في جبهة النضال الفكري .

ان هذه المقالة تحاول ان تجيب على هذه الاسئلة لتصل بالتالي الى امكانية منظماتنا الشعبية والمهنية في عملية الثقافة الجماهيرية في الوقت الذي نتعرف فيه الى اهم مشكلات الثقافة والصعوبات التي تعترض وصول الثقافة الى اوسع الجماهير .

لم تزل قضية الثقافة في وطننا العربي تثير العديد من الاسئلة ولذا فهي تكتسب اهمية خاصة ، واستثنائية ، لانها ترتبط اشد الارتباط بوسائل النهوض والتطور . وبالتالي الاسراع بتنفيذ خطط التنمية القومية ، القاعدة الاساسية للتحول نحو الاشتراكية وبناء المجتمع الاشتراكي الديمقراطي العربي الموحد .

وقد يبدو لاول وهلة ان الثقافة لا يمكن ان تخرج عن دائرة المثقفين والمعنيين بشؤون الادب والفن ، اي اعتبارها قضية (نخبة) ولعل رسوخ مثل هذه النظرة تظل في مقدمة مشكلات الثقافة في

وطننا العربي ؛ حيث كانت محاولة حل هـذه المشكلات تنتهي الى طريق مسدود .

ان من الصعوبة بمكان عزل السيطرة الاستعمارية الثقافية ـ السياسية عن السياسة الاقتصادية . فواقع كون العلاقات الانتاجية والاستهلاكية والتجارية الدولية تحقق تماسكا بين الناس ، انما يجعل العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة تولد بصورة حتمية ما يمكن ان ندعوه (بموكب نقص ثقافي) فلا ينبغي ان ننسى ان السيطرة الاقتصادية تشكل هدفا لمنافسة حادة تتداخل فيها المقتضيات الاقتصادية نفسها وتتجاوزها الى المقتضيات الايديولوجية .

فبالقدر الذي تتدخل فيه الدول الاستعمارية في المصالح الاقتصادية تتجه السيطرة الثقافية مستندة الى السيطرة السياسية رغم ما يبدو من تفاوت بينها ، الا انه تفاوت ، للتمويه حسب . وهنا ينبغي الانتباه الى مسالة غاية في الخطورة وهي ان كل محاولات الاستعمار في هذا التوجه تريد ابقاء المواطن في ظروف دونيه بالنسبة اليه لان التماثل التام بين المواطن الاصلي والمستعمر ليس مرغوبا به باية حال من الاحوال .

ومن هنا تنشأ (النخبة) تلك التي تقترب من المستعمر في محاولة للتماثل . وفي احسن الاحوال

تكون هذه النخبة معدومة الشخصية وبالتالي تكون في خدمة المستعمر(١) .

ان هذا الواقع يفسر بلا لبس لماذا كانت ثورات العالم الثالث هي الاسلوب الذي يتم من خلاله تاكيد الذات من جديد واعادة خلق الشخصية واستعادة الهوية . بيد أن التاثير الاستعماري يبقى عميقا ويستمر تقليد المستعمر وبخاصة في الميدان الثقافي حتى بعد الاستقلال وهكذا كان الاستعمار الاوربي والامريكي يكبح كل الجهود التي بذلتها الدول المتحررة لاستعادة هويتها الثقافية الخالصة.

ان قيم الاستعمار ما تزال منتشرة بواسطة وسائل الاتصال الجماهيري العامة ـ الراديو ـ السينما ، التلفزيون ، الاعلان ، الموجهة اصلا الى العالم الثالث . وان محاولة تنظيم الضغوط الثقافية العدوانية المباشرة وغير المباشرة ماتزال مستمرة بفضل وسائل التاثير في الراى ، وفيما عدا بعض الاقطار التي تخلصت من الاستعمار والتي

(١) ورد في سبيل البعث للرفق الامين العام والقائد المؤسس تحليلا لهذه الحالة نقتطف منه « فلفقدان الروح العربية والثقافة العربية يقود الى الثقافة المجردة . فالشخص يكون ضعيفا مجردا فتدخل الثقافة الاجنبية عليه دون ان تجد مانعا او رادعا او معدلا ، فيصبح معدوم الشخصية امامها وتتحكم به » .

تملك بعضا من وسائل الاعلام فان رؤى الاستعمار وشرائعه في الخير والجمال وقيمه المضادة تنزل الى الشارع في بلدان العالم الثالث وتسهم في تفكيك المجتمعات التقليدية ، ثقافيا . وليس ادل على ذلك من الافلام السينمائية ، وبخاصة الامريكية .

ان النماذج الثقافية الامريكية والاوربية التي تجللها ابهة النجاح المادي ، تمارس غواية خطيرة على الوجدان العربي فحتى نظام القيم في الغرب وثقافته ولغته هي ايضا وسائل للارتقاء ، بالنسبة لهؤلاء الذين يشعرون بانهم ضحايا التقاليد واساليب التفكير الرجعية . وليس من النادر ان نصادف ارادة القطيعة الجذرية مع الماضي لدى الكثير من (المثقفين) في العالم الثالث الذين وصلت بهم الدعوة الى محاربة كل ما هو وطني وتبني الابجدية اللاتينية والتكلم بلغة المستعمرين وما يزيد في هذه المشكلة تعقيدا هو سيطرة الغرب ، الاقتصادية والتقنية ، وهما ثمار حضارة ظلت محسوبة للغرب وامام ذلك ، من الممكن ان نتساءل الى اي مدى يمكن حماية شخصية الانسان في وطننا العربي ، وما ستكون حصة الاصالة في المستقبل ؟

لقد نجح الاستعمار حقا في ترسيخ (مفهوم جديد) للثقافة . مفهوم يستعدى الشعوب على ثقافتها الاصلية ويسعى الى تسفيهها ، ويقع في

الطرف المناقض، المفهوم الاكاديمي الذي تعني الثقافة لديه، اسلوب الحياة السائد في اي مجتمع بشري منذ البدايات الاولى للجنس البشرى .

فالثقافة اهم ما يميز المجتمع والعادات الاجتماعية وافكار المجتمع واتجاهاته تستمد من التاريخ وتنتقل تراثا الى الاجيال المتعاقبة . واللغة هي العامل الرئيس لنقل الثقافة ويشير اصطلاح (الثقافة المادية) الى الجانب الذي تمثله اشياء كالالات والاسلحة والملابس واشغال الفن .

ومن خلال الواقع الثقافي العربي يتأكد وبشكل قاطع ان الغالبية الساحقة من المواطنين العرب ما تزال تعيش التخلف الذي خلقه الاستعمار ومحاولاته ابقاءها اسيرة الجهل والامية ، وذلك بتجريدها من الثقافة ، اي تجريدها من حالتها القومية .

وفي مثل هذا الواقع يتحتم على الثقافة لكي تكون ثقافة جماهيرية ان تتوجه الى هذه الغالبية وتعنى بها : جماهير العمال والفلاحين والفئات الاخرى التي يمكنها التاثير في بناء الجيل . كالشباب والطلبة والنساء .

وهنا نصطدم بمشكلة لا تقل عن مشكلة الثقافة نفسها ونعني بها ما نريد من كلمة الجماهير ؟

فحتى الان لم تحسم هذه المشكلة فهذه الكلمة تتحول احيانا الى (الراى العام) وفي احيان كثيرة الى المواطنين ودائما تكون (الشعب) .

اننا حينما نقول (الجماهير) فاننا نعني بالضبط من يلتقون مع ثقافتهم القومية في وجودها الاصيل والحقيقي ولا نجد في هذا التحديد تعسفا .

فالجماهير بهذا المفهوم هي التي تلتزم بالثورة العربية الاشتراكية وهي بالتالي لا تضع خطوطا حيادية مع الاستعمار والصهيونية والرجعية سعيا وراء خلق الانسان العربي الذي يجد في هذا الواقع تحقيق وتطوير ذاته وذات المجتمع بكليته ، وهذا يعني ان الثورة العربية لا تعني ابدا ازالة الواقع الراهن والماضي ازالة كلية ، بل سحق السلبي ، وتبني الايجابي في هذا الواقع وتطويره دائما الى الافضل والاشمل .

لقد وجدت الثورة العربية نفسها تقاتل باستمرار ، على جبهتين مختلفتين ، الجبهة العسكرية حيث الاستعمار الاستيطاني والاحتلال العسكري ، والجبهة الثقافية التي تسعى من خلالها الى مقاومة السياسات الثقافية الاستعمارية الهادفة الى قطع الصلة بين المواطن العربي وتراثه القومي الفكري في مجالات العلم والادب والفن . الا ان الظروف الموضوعية لحركة الثورة العربية لم

تكن تتيح مقاومة هذه المخططات الاستعمارية بصورة فعالة ، نظرا للسيطرة الاستعمارية على المؤسسات الثقافية والاعلامية وعدم قدرة هذه الحركة على الاتصال بكل جماهير الشعب بصورة علنية ومستمرة ..

وعلى الرغم من ذلك فانه يمكن القول ان مقاومة الغزو الفكري الاستعماري كانت تتم جنبا الى جنب مع الغزو الاستعماري العسكري ولكن ضمن امكانيات اقل .

لقد تجسد خطر الغزو الثقافي بعد تحقيق الاستقلال السياسي لكثير من الاقطار العربية . اذ سرعان ما وجدت هذه الاقطار نفسها مضطرة الى البقاء اسيرة للدول الاستعمارية في محاولتها تطوير اقتصادها والوصول الى بناء بلد بعيد عن الاستغلال وذلك بسبب الغزو الفكري ولارتباط المؤسسات الثقافية بالمؤسسات الاستعمارية .

من هنا كان العمل من اجل نبذ (ثقافة النخبة) والاتجاه الى الثقافة الجماهيرية باعتبارها وسيلة مهمة لتعميم الوعي لدى الجماهير العربية ، اذا احسن استخدام اساليبها بعملية وواقعية .

وقبل كل هذا علينا ان نمر سريعا على الواقع الحالي الذي يعيشه قطرنا وهو يمشي في تنفيذ

خططه التنموية ، وتؤشر ما يمكن ان تحققه الثقافة الجماهيرية على هذا الطريق .

ان واقع قطرنا لاينفصل عن الواقع العام للوطن العربي ، وواقع العالم الثالث . فهذا الواقع يجد بشكل واضح ضعفا في الملاكات العلمية والتكنيكية المعاصرة ، وفي توفير واعداد هذه الملاكات .

ان من الشروط الاساسية لعملية التطوير الاقتصادي توفر قدر كاف من المستوى الثقافي لدى الجماهير . في حين لم تتجاوز هذه الجماهير ، الحاجز الاول المرتبط بالامية فتحقيق ثورات ثقافية هي احدى اهم المسائل التي تواجه قطرنا بالرغم من تحقيق نجاحات ملحوظة في مجال محو الامية .

فقد ازداد قبول الاطفال في المرحلة الابتدائية ولكنه ما يزال غير كاف ، وكذلك الحال في المرحلتين المتوسطة والثانوية . وهاتان المرحلتان اساسيتان في اعداد اليد العاملة ذات التاهيل المتوسط . واذا اخذنا التعليم الجامعي فاننا نلمس تطورا كبيرا عما كان عليه قبل ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ فلقد توج هذا التوجه الضخم بقرار التعليم المجاني الذي اتاح فرصا واسعة للمواطنين للاستمرار في دراساتهم ، خاصة في المجالات العلمية البحته .

الا اننا يجب ان نقف امام الحلقات الرئيسة في نظام التعليم والمؤسسات العلمية التي وضعتها الثورة وبالخطوات العديدة التي ساعدت على التحرك في هذا الاتجاه .

فلقد تقلصت هجرة (العقول) تلك الظاهرة المناقضة ، كما تم اعادة الكثير من المهاجرين بعد قانون عودة ذوى الكفاءات .

ان تقديم هذه المؤشرات له علاقة مباشرة بموضوع الثقافة الجماهيرية ، فنحن يجب ان لا ننظر الى تغيير نظام التعليم ، واعداد الملاكات كعملية منفصلة عن حركة الثقافة في القطر ، او كنمو كمي بسيط او اقتراب تدريجي بل على العكس .

فلقد تمت هذه العملية في ظروف قاسية ، وحققت اساسا ماديا للارتفاع بوعي الجماهير وتهيئتها لتغييرات جوهرية واشكال جديدة من الاختصاصات في كل مجالات الحياة .

اننا في القطر العراقي نمضي في تنفيذ خطة تنموية شاملة : اقتصادية واجتماعية وثقافية ولكن لا طائل وراء اعداد مثل هذه الخطط واقامة هياكل ادارية جديدة مالم تعش الجماهير تجربة التنمية . فالجماهير ليس مجرد عامل من سائر عوامل التنمية الاخرى بل اساسها ، ومن الجدير

ان نؤكد ان التنمية هي تغيير كلي في النظرة الى العالم وهي عملية ليست باليسيرة .

وفي واقعنا الراهن تبرز مسالة الريف في المقدمة باعتبار الريف ما يزال يستوعب جميع مشكلات الثقافة .. يضاف اليها مسالة تاهيل الجماهير المتعلمة .. ومن ثم مسالة الكوادر المختصة .

ان الوعي بهذه المسائل يضعنا امام مقارنة بسيطة بين ثقافة النخبة وكيف كانت سببا في تكريس التجزئة وتحكم الاقطاع والبرجوازية .. وبين الثقافة الجماهيرية وما تعنيه من توجه الى بث الثقافة الوحدوية الانسانية بين اوساط الشعب العربي من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين .

وعلى هذا الاساس فان التوجه الثقافي لكي يكون توجها ثقافيا جماهيريا يجب أن يكون توجها لتبني التربية القومية الاشتراكية التي تعيد للانسان العربي ايمانه بقدرته ، وتجعله ينبذ الثقافة الاستعمارية .

ان البنية الراهنة لمثقفينا هي بشكل عام تركة ونتاج المجتمع الاقطاعي المتخلف والمجتمع الراسمالي القاصر . وبالطبع اننا حين نقول ذلك فان هذا لا يعني ان مثقفينا جميعا اقطاعيون وراسماليون ،

او انهم ابناء اقطاعيين وراسماليين ان ما نريده بذلك هو تحديد الاطار الاجتماعي التاريخي الذي تحرك ضمنه مثقفونا . اي انه يمكن ان يكون قسم منهم غير قليل منحدرا من اصول طبقية فلاحية او عمالية كادحة .

ان وضعنا القضية بهذا الشكل يحدد آفاق الرؤية كلها . فانجاز تحويل جذري في القطاع الثقافي عندما نقول انه يشترط مجابهة الفكرية الاقطاعية والبرجوازية فانه في الوقت نفسه يستدعي تمثل وتملك الفكرية القومية الاشتراكية ، لكن في الحال الذي نؤكد فيه على ضرورة تحقيق تلك المهمة التاريخية ينبغي ابراز الواقع التالي : وهو ان ذلك يتطلب تعبئة مجموع الجماهير وبالضبط منظماتها للنفاذ منها الى اعمق قاعدة اجتماعية . فالثقافة الجماهيرية تؤكد ضرورتها عندنا اكثر واعمق في القطر العراقي الذي يطمح مع جماهيرنا العربية الى اجتياز مرحلة الانتقال من مجتمع اقطاعي راسمالي متخلف الى مجتمع عربي اشتراكي متقدم يضع نصب عينيه مهمة تثوير الثقافة . لذلك فان الاسهام في تعميق الوعي الاجتماعي ، وتنشيط العملية الذاتية لدى انساننا العربي الكادح يشكل شرطا ضروريا من شروط البناء القومي الاشتراكي . وهذا يبرز بدوره

مدى اهمية الثقافة الجماهيرية كما يبرز دقة وتعقد هذا الامر .

ان المراد من هذا اننا عندما نطرح قضية البناء الثقافي الجديد في القطر العراقي والاقطار العربية الاخرى فان ذلك لا يعني البدء من الصفر ، فلا توجد بداية من الصفر بالنسبة للثقافة ، فتراثنا الفكري والروحي العربي في جوانبه الايجابية التي تشكلت خلال ازدهار المجتمع العربي يجب ان لايطرح جانبا ، بل ان نتعهده بكل حرص واهتمام باعتباره اساسا في تربية الجيل العربي الجديد ..

والمهمة كما تبدو ليست سهلة ، فالثقافة الجماهيرية هنا تعني خلق مثقفين متجانسين في بيئتهم الاجتماعية والفكرية وهذا لايمكن ان يكون عمل المثقفين وحدهم . بل ان القيادة السياسية للحزب والثورة تملك في يدها زمام المبادرة ، هي التي تستطيع البدء بالثورة في المناهج والاساليب والادارة وبنية التعليم السائدة في المؤسسات الثقافية الاخرى .

ان تربية جماهيرنا تربية اشتراكية انسانية تستلزم اعادة وحدة الممارسة والفكر طبعا . بحيث تكون جماهيرنا منسجمة ومتجانسة اخلاقيا وفكريا وسياسيا وعاطفيا وهذه الخطوة تشترط ادخال الفكر القومي الاشتراكي على اوسع نطاق .

ان اهم الوسائل المؤثرة في تثوير الثقافة هي اجهزة التربية والاعلام وهذه حقيقة لا تنكر ، الا ان هذه الاجهزة تظل قاصرة عن اداء المهمة الشاقة ، اذا لم تتم على طرف واحد مع دور الجماهير نفسها في التثوير الثقافي وبهذا الصدد يبرز دور المنظمات الشعبية والمهنية ، القطرية والعربية كمنظمات العمال والفلاحين والنساء والشباب والطلبة في التاثير على الثقافة وتوجيهها لخدمة الجماهير واهدافها . وقبل كل هذا يكون دور الحزب ومنظماته اهم الادوار التي يمكن ان تساهم في خلق ثقافة جماهيرية ثورية قومية واشتراكية .

فمما لا شك فيه ان دور منظمات الحزب والمنظمات الشعبية والمهنية في التثقيف الجماهيري يعني تعميق الوعي بين جماهير وطننا العربي باتجاه المجتمع الاشتراكي المتقدم ، وبالتالي اغناء كبيرا لمعركتنا ضد الصهيونية والمخططات الاستعمارية باشكالها السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ، كما يعني اغناء لمعركة شعوب العالم المناضلة من اجل التحرر والتقدم .

ان دور منظمات الحزب هو دور الحزب نفسه ، فهذه المنظمات هي من تقع عليها مهمة التبشير بالفكر القومي الاشتراكي ، فكر الثورة

العربية ، وثقافة الامة الحقيقية وبحضارتها الاصيلة وهي تشكل النقطة المركزية للدور الكبير الذي سيلعبه الوعي الحزبي بين الطبقات المسحوقة . ولما كانت المنظمات الشعبية والمهنية لها مجالاتها فهي تستطيع ان تؤدي دورا اساسيا في عملية الثقافة الجماهيرية .

واذا اخذنا في الاعتبار ان المنظمات الشعبية(١) تتوجه الى فئات جماهيرية واسعة فان هذا يسهل كثيرا في ايصال العملية الثقافية لعموم الجماهير .

ان الثقافة الجماهيرية تستلزم في ابسط صورها شروطا اساسية لا ينبغي اغفالها في حالة التوعية والتوجه الثقافي وفي مقدمة هذه الشروط ما يلي : —

١ — برنامج عمل يحدد تحرك المنظمات الشعبية او المهنية ويحدد الصفات المطلوبة في الكادر الذي يقوم بتنفيذه .

٢ — قيادة واعية تستهدف البرنامج والاهداف المرحلية المؤدية الى الهدف العام والقادر على تنفيذ برامج لاحقة ومستمرة .

(١) المعني هنا المنظمات الشعبية كالاتحاد العام لنقابات العمال والاتحاد العام لشباب العراق وغيرها اذ يكون التوجه الخاص بكل منظمة رافدا يصب في مجرى التثقيف العام لكل المجتمع

٣ — مستويات الوعي في التشكيلات من القيادة الى القاعدة يجب ان تتفق واحتياجات المرحلة بما يمهد للانتقال الى المرحلة التالية ويتناسب مع المسؤولية التي يتولاها العضو او اللجنة(١) .

٤ — علاقة ثورية داخل المنظمة الشعبية تتلخص بتطبيق الديمقراطية المركزية ، وتهدف الى التنفيذ الواعي للبرامج التنموية لثورة ١٧ — ٣٠ تموز ، والى خلق قاعدة عريضة لهذه التنظيمات

ان هذه الشروط تكفل للمنظمات الشعبية والمهنية ان تواجه قضية الثقافة بجدارة ووعي والتزام نحو تحقيق الهدف الذي يتحدد بتوحيد الجماهير فكريا ووجدانيا مع اهداف التحول الاشتراكي لتكون له قوة دافعة ، للعمل على اتمام هذه التحولات وتحقيق الاهداف البعيدة التي يناضل من اجلها الحزب على الصعيد القومي والانساني .

ووسائل المنظمات في التثقيف الجماهيري يمكن ان تحدد بما يلي :—

(١) اللجنة « تسمية قاعدية في المنظمات الشعبية مثلا هناك اللجان المحلية في الاتحاد العام لشباب العراق واللجان الاتحادية في الاتحاد الوطني لطلبة العراق وهناك تسميات مختلفة في الاتحادات الاخرى ولكنها تعطي نفس المعنى »

١ ـ التثقيف المنهجي : ويعتمد في الاساس على برامج محددة لفترات محددة تقوم بها فروع المنظمات في المحافظات على غرار المعاهد او المدارس المهنية المختصة ، والتخصص هنا في المجال السياسي ، ضمن الممكن وان تقوم منظمات الطلبة والشباب والمراه والعمال في المدينة الى جانب الفلاحين في الريف .

٢ ـ التثقيف بواسطة الحلقات الدراسية :

وهذه العملية قد حققت نجاحا واضحا على صعيد الدراسات الاكاديمية ومن الممكن الافاده منها في العمل الثقافي الجماهيري ، وهذه العملية الى جانب دورها الثقافي فهي تعمل على ربط القاعدة بالقيادة ، وبالتالي بالجماهير عامة . وذلك بتدريبها على ديمقراطية المناقشة واعتماد الاسلوب العلمي في التفكير .

٣ ـ التثقيف بواسطة الندوات العامة : وعادة تكون هذه الندوات عامة مفتوحة وكبيرة الحجم وقد عرفتها المنظمات في اكثر من مناسبة .

٤ ـ التثقيف بواسطة النشرات : وهذه العملية تكون اكثر فاعلية في اوساط المدينة ونعني هنا صحافة المنظمات التي بدات ترسخ اتجاها واضحا في العمل الثقافي الجماهيري .

وبالمقابل على المنظمات الشعبية والجماهيرية ان تتكفل بمهمة جديدة يمكن ان نسميها بـ (حماية الثقافة) فما زال الطابع الغالب على ما يقدم للجماهير من انتاج ثقافي وفني محليا او مستوردا هو الامتاع المبتذل والتسلية الرخيصة ، فحتى الافلام والتمثيليات والاغاني فيما عدا القليل النادر ، يغلب عليها الاعتساف في طرح الفكرة ، والافتعال في المواقف والمبالغة في العواطف بحيث لا ينم عن تفاعل حقيقي مع الجماهير .

ان التطور الذي نريده للثقافة الجماهيرية انما يحتاج الى المنظمات الجماهيرية اكثر من اية جهة اخرى ، فمشكلة الثقافة الجماهيرية ليست اكاديمية او فنية انما هي بالدرجة الاولى مشكلة فكرية وسياسية . وهي تظل بحاجة الى القيادة الجماهيرية لمواجهتها .

والمنظمات الجماهيرية والمهنية تظل اكثر من اي وقت مضى فوق كل الاجهزة الرسمية المؤثرة في حياة الجماهير ، الثقافية والفكرية والوجدانية . فبين العمال والشباب ، الفلاحين والطلبة ، وفي المعمل والمزرعة ،البيت والمدرسة الى سائر جماهيرنا في مختلف مجالاتها يجب ان يتحدد الفهم والفكر والهدف واذا عنّ للبعض ان يفسر هذه الوحدة الثقافية باعتبارها حجرا على حرية الراي او قيدا

على حق الابداع فاننا نقول ان الوحدة لا تمنع حرية الابداع انما هي فقط تحدد طرق ممارسة هذه الحرية بحيث لا تتم على حساب الجماهير وهي تمضي في تعبئة قواها من اجل اهدافها النبيلة .

وعندما نتحدث عن تكوين الانسان العربي الجديد بكل ما يتصف به من مثل وقيم حية ، يجب ان لا ننسى صعوبة العملية ، عملية التثقيف الجماهيري بيد ان نقطة البداية هي توفير المناخ الملائم لهذه العملية .

وحين تتوحد قوى الجماهير الثقافية والاعلامية والتعليمية في خط واضح لتحقيق هذا فسوف تعجل بتحقيقها والتغلب على كل ما يعترضها من صعاب .

ان ضبابا كثيفا من بقايا الماضي ما يزال يخيم على حياتنا الفكرية والثقافية يحول دون الرؤية الصادقة لمعالم نضالنا الثوري .

وليس صدفة ان بعض المواقع الثقافية في القطر العراقي مازلنا نحتاج الى الكثير من الجهد بحمله ذلك من اضرار على حركة الجماهير . ففي القطر العراقي مازلنا نحتاج الى الكثير من الجهد من اجل ان تتناسق حركة الثقافة وتزدهر على ارض المجتمع الجديد وقيمه الصاعدة حيث يشق كل ما هو جديد وثوري طريقه بيسر ودون عراقيل.

ولقد اكد التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن للحزب على ضرورة ان يكون لثورة الحزب في القطر العراقي (باعتبارها نموذجا للثورة العربية) اعلامها وثقافتها المعبران بصدق عن طموح الجماهير العربية واهدافها اذ جاء فيه :

« فلقد آن الاوان لان يكون للثورة اعلامها وثقافتها ، المعبران عنها تعبيرا دقيقا وخلاقا وملهما للجماهير وللطلائع المثقفة . لا في القطر العراقي فحسب ، وانما في الوطن العربي .

وبالاضافة الى ضرورة تحقيق هذه المهمة كهدف اساس من اهداف الحزب والثورة فانها تحتل اهمية استثنائية نتيجة لما ينتظر الحزب والتجربة الثورية في هذا القطر وحركة الثورة العربية من هجوم وحصار من جانب الدوائر الامبريالية والرجعية يشكل الاعلام والثقافة ميدانا اساسيا من ميادينها .. فكما يتحتم علينا مغالبة هذا الهجوم والحصار في جميع الميادين وتحقيق الظفر على القوى الامبريالية والرجعية فان علينا ان نجابه اعلام وثقافة الامبرياليين والرجعيين وان نحقق الظفر عليهما ايضا » .

والمنظمات الجماهيرية هي القوة القادرة على تحقيق هدف الثقافة الجماهيرية ، فالتاريخ معها

والضرورة الاجتماعية والثورية معها ومعها ايضا منطق الثورة والتكامل الحضاري في ظل فكر الحزب حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يقود بجدارة تجربة خاصة من اخطر تجارب العصر الحديث على شتى الاصعدة ..

الاعـــلام ..
وعلاقته بالتنمية والحياة السياسية للجماهير

كان الاعلام وما يزال من العوامل المؤثره فـي حياة الامم والشعوب ومنذ العصور القديمة جدا ، ولكي ناخذ صورة عن ذلك سوف نتطرق الى هذا التاثير منذ العصور القديمة ، فالاغريق عرفوا اهمية الاشاعات وسرعة تحولها الى اسطورة يسهل ربطها بالتاريخ وبالتالـــي توجهت الانظـار الى صـانعي الاشاعات .. كما ان الفراعنة في مصر طرقوا باب الاعلام من خلال اصدارهم تعليمات مكتوبة عـــلى جدران المدن وهي اشبه بالصحيفة الجدارية وكانت هذه التعليمات تتضمن اخبار الانتصارات العسكرية للفراعنة وربط ذلك بمدى (القوة الالهية) لهـــم وما يعنيه من ردع غير مباشر لاعدائهم وشهدت روما استغلالا ذكيا للاعلام من قبل قياصرتها الذين عملوا على نشر اخبار الرياضة والقضايا الاجتماعية لابعاد الناس عن المشاكل التي كانت الامبراطورية الرومانية تعاني منها ..

وساعد تطور التجارة في القرن الخامس عشر للميلاد على انتشار الاخبار وتناقلها من بلد الى اخر بواسطة التجار الذين كانوا يجوبون البحار.. وظهر تاثير الاعلام وبشكل واضح اثناء حركة مارتن لوثر وجماعته المسماة بحركة الاصلاح الديني ؛ هذا التاثير الذي ادى الى مهاجمته وبعنف من قبل البابا لويس الخامس عشر عام ١٥٦٩ ميلادي وشهدت الجزيرة العربية تاثير الاعلام ومساعدته في ايجاد الحلول للمشاكل التي كانت تحدث بين القبائل العربية فقد ابطل (الحوار) بواسطة الشعر والخطابةدور السيفوعمل علىحقن الكثير منالدماء وساعد كذلك في جمع العرب اكثر من مرة للدفاع عن وجودهم وكرامتهم كما حدث في معركة ذي قار بين العرب والفرس حيث كان النصر نتيجتها بتاثير الشعر والخطابة اللذين اثارا الحماس لدى العرب ودفعهم الى القتال ببسالة ، كما ان الاعلام مر بمراحل متعددة منذ نشاته الاولى حتى عصرنا هذا اي منذ استعمال الطرق الاعلامية البدائية حتى مرحلة الاقمار الصناعية في نقل الاخبار والمعلومات ورغم ان وسائل الاعلام واجهزته قد اختلفت وتطورت بفعل عوامل التطور الاجتماعي والتكنولوجي الا ان وظائفه لم تتبدل وانما ازدادت اتساعا بحيث اصبح الاعلام علما له اصوله ونظرياته واخذ يشق

طريقه باطراد نحو التكامل ليصبح فنا مستقلا له قواعده بل وقوانينه التي تحكمه كما اصبح له تراثه وتقاليده وقيام اجهزة الاعلام المتطوره في مختلف اشكالها من طباعة وصحافة واذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح وسياحة ومعارض وغيرها . فلم يعد مظهرا من مظاهر الحياة الحديثة فحسب وانما اصبح ضرورة اساسية

واصبح الاعلام اساس التفاهم الدولي والاحترام حيث يقوم بدور رئيسي في نشر المعارف في عصر مايزال فيه حوالي نصف سكان الارض الارض يعيشون في ظلام الامية والجهل .

ولقد دخل الاعلام حياة المواطن اليومية بكل اشكاله السياسية والتربوية والتوجيهيه واصبح من الركائز الاساسية التي تعتمدها عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في اي قطر من الاقطار النامية او المتقدمة وتبعا لتطور الاعلام تطورت وبشكل كبير اجهزة الاذاعة والتلفزيون وصناعة السينما والطباعة والصحافة ودور النشر وتوزيع المطبوعات والمراكز السياحية كما تطور الفن المسرحي بحيث اصبح رافدا كبيرا في فترة قصيرة ومن هذا اتضح ما للاعلام من اهمية كبيرة في حياة الامم والشعوب وتفسير سبب اندفاع الانسان في تطوير هذا الميدان ، فكانت الاختراعات الحديثة وظهور اول

مطبعة عام ١٤٣٦ ، وما تبع ذلك من ايجاد صحافة مطبوعة كانت الاساس في انتشار الخبر بين الجمهور واعتبرت رافدا رئيسا من روافد الاعلام وقد شعرت الدول الكبيرة باهمية الاعلام وتاثيره ، على الانسان، وبالتالي دوره في نشر افكارها وتبرير ما تريده لضمان مصالحها فما ان اوشكت الحرب العالمية الاولى على الانتهاء وبان في الافق اندحار القوات الالمانية حتى شهد العالم موجة واسعة من الدعايات التي تستهدف تضليل الشعوب والسيطرة على اراضيها ويكفي هنا ان نشير الى معاهدة سايكس بيكو التي عقدت عام ١٩١٦ وقسمت البلاد العربية بين الدول الاستعمارية وما تبع ذلك من اعطاء الوعود بمنح الاستقلال وغيرها ... وانخداع بعض العرب بهذه الوعود وما آلت اليه الاوضاع فيما بعد من ظلم ونهب لثرواتهم بسبب نجاح (اساليب الدعايات الاجنبية) .. وما دمنا بصدد الاهتمام بالاعلام لابد لنا من الاشارة الى اهتمام الحركة الصهيونية بهذا الميدان .. واعتبارها اياه عنصرا رئيسا في العمل لتحقيق مارباها ومراميها فقد حدد المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ (برنامج العمل) من اربعة بنود كان اهمها البند الثالث الذي ينص على (ضرورة نشر الروح القومية والوعي القومي بين

يهود العالم وتنميتها) وعملت الصهيونية وعناصرها على تنفيذ الدور الذي حدد للاعلام في هذا البرنامج وكان عملها يرتبط ببعضها ويسير في خطوط متوازية وفي وقت واحد ، فقد اهتمت بتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين وربط يهود العالم بعضهم ببعض بواسطة مؤسسات صهيونية بالسيطرة على وسائل الاعلام التي كانت موجودة في العالم وخصوصا الصحافة من اجل استغلال هذه الوسائل الاعلامية لكسب الراي العام العالمي والحصول على تاييده لغرض انشاء « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين وشهدت بداية القرن العشرين اهتمامات واسعة من قبل الدول الكبيرة وظهور اذاعات مسموعة عام ١٩٢٠ بعد سنوات قليلة من اختراع اللاسلكي وتمكن الانسان من نقل الاخبار وبسرعة فائقة بواسطته وشهد العالم كذلك ظهور اول شريط تلفزيون للاخبار عام ١٩٤٩ وسار الاعلام خطوات كبيرة في التقدم حتى اصبح علما له اصوله ، وظاهرة ترافق الانسان ، ولم يعد من كماليات الحياة بل اصبح من ضروراتها .

وهنا نتبين دور الاعلام في الدول النامية واثره في انتشالها من التخلف . ويثار التساؤل حول دور الاعلام العربي واثره في رد الدعايات الاستعمارية والصهيونية واثر اجهزة الاعلام في الحياة العامة

الاجتماعية والسياسية ومدى اسهامه في تقدم او تخلف اي شعب من الشعوب ومنها شعبنا العربي في كل اقطاره . فلم يكن تخلف الاعلام في الدول النامية ومنا الاقطار العربية مقطوع الصلة عن مجمل التركات التي خلفتها السيطرة الاستعمارية على تلك الاقطار فهو سمة ظاهرة في مثل هذه المجتمعات. تحدد بوضوح اساليب الدول الاستعمارية وتحركاتها الهادفة الى تعطيل القدرات الذاتية لدى الشعوب في مختلف المجالات . فقد سعت الى الحد من شيوع الثقافة والمعرفة وكرست اسباب الامية والتخلف الحضاري . وجعلت الاعلام في اول ما سعت له هدفا لتآمرها ووقفت دون تطويره ذلك لان هذه الدول تدرك اهمية الثقافة والاعلام ودورهما في ادانة اساليبها وعملية الفضح السياسية التي تتناول جميع المجالات . ومن هنا داب الاستعمار واجهزته المختلفة على خنق اي محاولة جادة لخلق اعلام متطور يعتمد الاجهزة العلمية الحديثة والاساليب المواكبة لحركة التطور الحضاري في العالم ، وعمل على حجز الثقافة الاعلامية عن الاقطار النامية وفق تخطيط ستراتيجي مسبق يهدف الى تكريس تخلفها وابقائها سادرة في عوالم الظلام والجهل .. لذلك وجدت اغلب هذه الاقطار نفسها في فترة تحررها السياسي والاقتصادي من ربقة الاستعمار لا تمتلك

القدرات الاعلامية اللازمة للنهوض بمستوى الوعي الجماهيري او انضاج عمليات التحول السياسي والاجتماعي اللازمة بعد خلاصها من براثن السيطرة الاجنبية . ورغم ان هيمنة الاستعمار ومخططاته كانت العامل الاساسي في خنق حركة الثقافة والاعلام في هذه الاقطار الا ان هذه الحقيقة لايصح ان تتحول الى ذريعة تتكيء عليها بعض هذه الاقطار بعد الاستقلال لتبرر اهمالها وتاخرها في هذا المجال الهام اذ يتعين عليها ان تحث السير بخطوات سريعة ومدروسة لتذليل كل العوائق التي كانت تحول دون خلق الكوادر الاعلامية القادرة على تنوير ذهنية الجماهير وتطوير طاقاتها الثقافية للاسراع في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية من وسائل الاتصال الجماهيري .

وعلى ذلك فان على هذه الاقطار التي وجدت نفسها بعد الاستقلال مباشرة مضطرة للعمل على توفير الوسائل المعاشية والصحية واعطاء تلك الجوانب اولوية خاصة للحاجات الآنية وفقدان التخطيط فيما لو اهملت تطوير اجهزتها الاعلامية عليها ان تعي جيدا ان عملها هذا يفتقر اساسا الى الركيزة الاولى والقادرة على النهوض بمستواها الصحي والمعاشي وهذه الركيزة هي الاعلام . لان الاعلام وحده هو الجهة القادرة على الاضطلاع بمهمة

توعية الجماهير باهمية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لانهاء كل اسباب التخلف التي تثقل كاهل تلك الاقطار . ولقد اثبتت كل الدراسات والاحصائيات العلمية ان وسائل الاعلام اذا ما استخدمت مصحوبة بالتفهم اللازم للبيئة والمجتمع الذي تخاطبه فانها ستكون شديدة التاثير في اوساط تلك البيئة خاصة وان سنوات القهر والتخلف والظلم التي كانت جاثمة على صدر تلك الاقطار ليس من السهولة تجاوزها وانما يتطلب ذلك عملا شاقا ووقتا كافيا يتناسب وحجم تلك الاثار . ومن الثابت ان المطلب الاساسي للتطور في اي مجتمع هو ضرورة تطوير الناس انفسهم .. وهذه هي كما نرى النقطة التي تصبح فيها وسائل الاتصال الحديثة ضرورية جدا للتنمية الاقتصادية (لان مهمة وسائل الاعلام والتعليم هي ان تعجل وتسهل التحويل الاجتماعي البطيء الطويل اللازم للتنمية الاقتصادية كما ان مهمتها بصورة خاصة تقديم العون ، والتعجيل بتعبئة الموارد البشرية لدعم المجهود القومي)

ومن ذلك يتضح التاثير المتبادل بين الاعلام والتطورات الاجتماعية فالتطورات الجديدة في الاعلام تطور المجتمع والتطورات الجديدة في الميادين الاجتماعية الاخرى تؤثر في الاعلام . اذن فالامر المهم هو ، ان تطورا معينا ومستوى معينا من تنمية

وسائل الاعلام لابد ان يقابلها تطور معين ومستوى معين من التنمية الاجتماعية بصورة عامة فمن دون تنمية مجدية ومتطورة لوسائل الاعلام لا يمكن اقامة الاساس لتطوير السكان والتعاون والتصنيع والتعليم والاعداد المهني التي يحتاج اليها المجتمع الحديث ، وينتج من هذا ان وسائل الاعلام تكون متخلفة في الاقطار المتخلفة . ان اهتمام الاقطار النامية وخاصة الاقطار العربية منها بوسائل الاعلام ليس قديما وانما هو وليد فترات قريبة ويكفي للدلالة على ذلك ان نشير الى ان اغلب هذه الاقطار لم تنشىء اذاعة وطنية الا في نهاية الخمسينات وان بعضها لم ينشىء محطات للبث التلفزيوني الا في الستينات . ومع ذلك فان هذه المحطات الاذاعية والتلفزيونية تفتقر الى اسباب التطور حيث تنقصها الاجهزة الحديثة والكوادر المتخصصة اذ ان نسبة العاملين في اجهزتها من الاداريين يفوق عدد الفنيين والمتخصصين في مجالات الفن والاعلام وعلى ذلك فانه ليس غريبا ان تكون نسبة الانتاج المحلي لمحطات التلفزيون في الاقطار النامية قليلة ، وغالبيتها معتمدة على الانتاج الاجنبي في تغطية برامجها . وهنا تجدر الاشارة الى ان معظم الاقطار النامية ومنها اقطار الوطن العربي قد حققت استقلالها السياسي في النصف الثاني من هذا القرن وخرجت

بعد ذلك لتجابه مشكلات اقتصادية واجتماعية كثيرة ولتجابه تخلفا كبيرا في الميادين التعليمية والصحية والاعلامية وغيرها ليس من اليسير معالجتهـــا او التغلب عليها الا بعد جهود كبيرة ووقت طويل فيما كانت دول العالم الاخرى قد احرزت ــ وفي هـــذه الفترة بالذات ــ تقدما باهرا في مختلف مجـالات العلم والتكنلوجيا وخاصة في ميدان الاعلام حيث اتيح لها العمل على تطوير اجهزتها بما يكفل خلـق صيغ ووسائل جديدة للاتصال بالجماهير تختلف تماما عن تلك الصيغ والوسائل البدائية التي تعتمدها غالبية الاقطار النامية ، والتي تعاني مـن مشاكل كثيرة كما اشرنا الى بعضها في مستهل المقال تحول دون تمكنها من خلق الوعي الاعلامي المتطور السريـــع والمواكب للاحداث والتحولات . كما يتعين الاشارة هنا الى ان من ابرز الخصائص التي تلفت الانتباه في وسائل الاعلام التابعة للدول النامية هـــو ان تاثيرها ينحصر في المدن حيث ان محطات الاذاعـة والصحف والمسارح والسينما تتجمع في المـــدن وخاصة في المدن الكبيرة رغم ان نسبة لا تقل عن ٨٠٪ من سكان الاقطار النامية يعيشون في المناطق الريفية كما هو الحال في اغلب اقطار الوطن العربي وهذا يعني ان تركز هذه الوسائل في المدن دون الارياف ادى الى ان ينحصر تاثيرها في المدن دون

الارياف ، اذا اســتثنينا الاذاعــة طبعا ؛ ولعــل مراجعة سريعة لجداول الاحصائيات الصادرة عن منظمة اليونسكو تكشف لنا صحة هذا الراى خاصة في مجال الصحافة . حيث تشير هذه الجداول الى ان الصحف اليومية في بعض الاقطار النامية التي يزيد عدد سكانها عن ٢٥ مليون نسمه تصدر كلها في العاصمة فقط دون ان تتمكن من اجتياز المدن الى مناطق القرى والارياف بسبب العوامل المعرقلة كصعوبة الانتقال عبر الطرق الرديئة (عدم توفر خدمات بريدية ملائمة او ازدياد الامية او عـــدم توفر المال اللازم للانفاق على الصحف او اجهزة الراديو والتلفزيون) .

اعلام التنظيمات الشعبية

وهنا لا بد من التطرق الى مسالة نشعر باهميتها في توجهنا الاعلامي وهي اننا عندما نقول اجهزة الاعلام يجب ان لاينطبق ذلك على اجهزة الاعلام الرسمية كالاذاعة والتلفزيون مثلا، وانمانعني بها كل وسائل الاتصال الجماهيري ومنها وسائل الاتصال الشعبية كالمنظمات والاتحادات الشعبية والمهنية كالاتحاد العام لنقابات العمال والاتحاد العام للجمعيات الفلاحية والاتحاد العام لنساء العراق والاتحاد العام لشباب العراق والاتحاد الوطني لطلبة العراق وغيرها . وهذه الحقيقة عمل الحزب القائد ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ على جعلها مؤشرا لمدى تفاعل الجماهير مع معاناة الوطن ، وانعكاس هذه المعاناة على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فمارس الحزب قبل الثورة كل السبل الاعلامية باساليب نضالية رائدة، منها وفق مقولة (الشعار المناسب في الوقت المناسب) اي التاثير النفسي على الجماهير .. واصدار النشرات الجماهيرية والصحف السرية والملصقات الجدارية واشاعة النكات الهزلية وتوعية الجهاز الحزبي والجماهير ضد الاشاعات المغرضة ونذكر هنا اصدار الحزب لصحف سرية جماهيرية

(الاشتراكي) الناطقة بلسان الحزب في القطر العراقي ووعي العمال وصوت الفلاح جريدة الفلاحين والاتحاد الوطني مجلة الطلبة .. وغيرها .

كما ان الحزب ايمانا منه باهمية واثر اجهزة الاعلام على الحياة العامة فانه بعد الثورة وكما اشار الى ذلك التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن الذي عقد عام ١٩٧٤ (وقد بذلت القيادة وبخاصة في السنوات الاخيرة جهودا حثيثة على هذا الطريق حيث اشرفت اشرافا مباشرا على الاجهزة الاعلامية الرئيسية ووضعت تحت تصرفها امكانات جيدة لتسريع تطورها في النواحي الفكرية والبشرية والتنقنية وجعلها كما يطمح الحزب ، قطاعا طليعيا ومبدعا في المجتمع وفي عملية التغيير الثوري التي يقودها الحزب)(٢) .

(٢) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي

دعم قيادة الحزب والثورة للاعلام

ونظرة الى واقع اجهزة الاعلام قبل قيام ثورة ١٧ـ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ والى واقعها الحالي بعد الثورة تظهر جليا مدى الدعم الذي وفرته قيادة الحزب والثورة من اجل تطوير هذه الاجهزة ودفعها الى امام . وتكفي الاشارة الى ان الميزانيات المالية لاجهزة الاعلام تضاعفت عدة مرات بعد الثورة عما كانت عليه قبلها ، فقد اصبحت ميزانية الاذاعة والتلفزيون اربعة ملايين دينار عام ٩٧٣ بعد ان كانت (٦٥٠) الف دينار عام ٩٦٨ وكانت ميزانية وكالة الانباء العراقية (١٢٥) الف دينار اثناء قيام ثورة تموز ٩٦٨ واصبحت (٩٠٠) الف دينار عام ٩٧٣ وكذلك السينما والمسرح اذ كانت تخصيصات المالية لا تتعدى (١١٠) الف دينار اصبحت الان نصف مليون دينار .. وعند الاشارة الى ذلك يجب الا يتبادر الى الذهن ان هذه المؤسسات هي الوحيدة التي التفتت اليها الثورة .. فقد اولت قيادة الثورة اهتمامها الى قطاع الصحافة ودعمت (جريدة الثورة) وضاعفت ميزانيتها الى (٥) اضعاف وجهزتها باحدث الات الطباعة واست دارا للصحافة والنشر ودعمت وبشكل متواصل (دار الجماهير للصحافة) والصحف والمجلات التي تصدر

عنها وبخاصة جريدة (الجمهورية) بحيث اصبحت صحيفتا الثورة والجمهورية ذاتا امكانيات وافاق كبيرة للتطور ، وتم تأسيس الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان عام ١٩٧٢ براسمال مقداره (٥٠) الف دينار تضاعفت عدة مرات في الوقت الحاضر .

ولم تكن بقية اجهزة الاعلام ومؤسساته الطباعية (كدار الحرية للطباعة ومصلحة المصايف والسياحة) وغيرها باقل حظا من الدعم من المؤسسات الاعلامية التي مر ذكرها .

وتوجهت الثورة الى العاملين في اجهزة الاعلام ورعتهم واصدرت العديد من القوانين والتشريعات التي تدعمهم وتؤكد رعايتهم ، كقانون تقاعد الصحفيين وتقاعد الفنانين وغيرهما ، هذا اضافة الى المتابعة المستمرة من قبل القيادة لجعل اجهزة الاعلام ضمن (الصورة) وتجعلها قادرة على استيعاب المرحلة ، والقيام بدورها المطلوب في التوعية الجماهيرية .

كما ان المنظمات الجماهيرية والاتحادات الشعبية قد واصلت اصدار مجلات وصحف قطاعية وجماهيرية في آن واحد اسهمت وتسهم في التوعية الجماهيرية المطلوبة انطلاقا من الايمان بان التنظيمات الشعبية تمثل قطاعات واسعة من جماهير الشعب وبامكانها ان تلعب دورا بارزا في استخدام الاعلام

باتجاه اشعاع الثورة الى كل انحـاء الامة العربية وهذا يأتي من ان الثورة في القطر ما هي الا الطليعة في الثورة العربية التي يقودها الحزب ، وبالتالي فان تطوير اجهزة الاعلام (الرسمية والشعبية) يؤثـر تأثيرا كبيرا في الحياة العامة(١) .

(١) ينظر :

(١) الدعاية السياسية

(٢) ولبر شرام : وسائل الاعلام والتنمية القومية

(٣) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي

في ضوء القانون الذي اصدره مجلس قيادة الثورة بالحفاظ على سلامة اللغة العربية

مسؤولية الاعلام في الثقافة القومية

لم يكن الوجود الاستعماري الذي عانت منه الامة العربية مقتصرا على الوجود العسكري واحتلال الاراضي العربية وانما تعداها لكي يشمل الغـزو الفكري والثقافي الذي يشكل الخطـورة الاكبر في حياة الامة .

وليس الامر يخص الاستعمار في العصـر الحديث حسب وانما كان جزء من سلسلة مؤامراته على الامة العربية ومحاولة طمس حضارتها وتراثها والقضاء على لغتها .

ولكن اصالة الامة وحفظ لغتها في القـرآن الكريم واستعداد ابنائها للتضحية في سبيلها كانت عوامل فشل هذه المؤامرات الواحدة تلو الاخرى .

ولقد شهد التاريخ الحديث غزوا عسكريا وفكريا منظما قامت به الدول الاستعمارية بعـد اتفاقية سايكس بيكو وما تبعهـا مـن تكالب استعماري على الوطن العربي . وترافق الغزو العسكري والفكري هذا لم يأت مصادفـة وانما

كان بتخطيط مدروس قامت به الدوائر الاستعمارية لانها تعرف حقيقة الوعي القومي العربي وتأثير الفكر على الجماهير .

ولقد تراوحت الاساليب الاستعمارية في استخدام الغزو الفكري بين محاولة القضاء على اللغة العربية والثقافة العربية وبين تشويه هذه الثقافة والتقليل من اهمية اللغة العربية ومجاراتها لروح العصر .

واستمرارا لهذه السياسة الاستعمارية فقد كرست عوامل التخلف الحضاري وعملت على بث روح التفرقة وتعميم الثقافات الاقليمية والتجزئة لدى الجيل العربي ، وكانت الجماهير العربية (في مواجهتها للهجمة الاستعمارية) تقاتل على جبهتين : ـ

الاولى الجبهة العسكرية : حيث الاحتلال العسكري والاستعمار الاستيطاني

الثانية الجبهة الثقافية : حيث سعت الثورة العربية من خلال هذه الجبهة الى مقاومة الغزو الفكري والثقافي ومحاولات الاستعمار لترويج الثقافة المضادة وسعيه لقطع الصلة بين الجيل العربي وبين تراثه القومي الاصيل في مجال الفكر والعلم والادب .

وتمكنت الثورة العربية ـ بفضل عزم وصمود وتضحية ابنائها من دحر الاستعمار في اكثر من معركة عسكرية واحراز النصر عليه الا انها واجهت صعوبة بالغة في مواجهة الغزو الثقافي والفكري نتيجة لوجود الامكانيات التقنية لدى القوى ـ الاستعمارية والرجعية التي تمكنها من تضليل المواطن في الوطن العربي . واهم هذه الامكانات وسائل الاتصال الجماهيري ـ والاذاعة والتلفزيون منها بوجه خاص ـ حيث تصل هذه الوسائل الى المواطن في المصنع والحقل والبيت والشارع .

ولما كانت عملية المواجهة المباشرة المعادية للتراث والثقافة العربية غير ممكنة .. فقد اتجه المستعمرون الى استخدام الطرق غير المباشرة في هذه المواجهة ـ ومنها التوجه (لتفتيت) وحدة اللغة بين ابناء الامة الواحدة عن طريق اشاعة استعمال اللهجات العامية في الحياة العامة مما يجعل (الهوة) في الفهم بين ابناء الشعب الواحد سواء كانوا من مغرب الوطن العربي او مشرقه سحيقة ، مما يشكل خطرا على تربية النشىء العربي تربية قومية .

ومن الامور التي تلفت الانتباه ان الاذاعات ومحطات التلفزيون والصحافة وغيرها من وسائل الاعلام التي استخدمها الاستعمار في تنفيذ سياسة

الغزو الفكري لم تستخدمها الاقطار العربية التي حصلت على الاستقلال في مواجهة هذا الغزو وانما استمر غالبيتها على اتباع نفس النهج وخاصة فيما يتعلق باللغة العربية . من الممكن ان تكون المبررات ـ هو اتباع اللهجات العامية ـ للوصول الى عقل المواطن ولكن هذا يجب ان لا يكون سببا للاستمرار فلغتنا العربية استوعبت مفرداتها كل المستويات الفكرية والثقافية والاجتماعية للمواطن العربي منذ عشرات القرون ...

فليست اللغة العربية لغة جامدة . وبهذا فانها لم ولن تقف حجر عثرة في طريق فهم المواطن العربي لاية جملة وانما هناك مفردات وجمل مبسطة يمكن فهمها بسهولة .

وهنا لا بد من التطرق الى تجربة القطر العراقي بعد قيام ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ... حيث انتقل الحزب من مواجهة الغزو الفكري (بواسطة مناضليه وجماهيره في النضال السلبي وعلى امتداد الساحة العربية) عن طريق التثقيف القومي في مواجهة الثقافات القطرية وعن طريق التركيز على اهمية اللغة العربية باعتبارها عماد الثقافة العربية ، الى التنفيذ والتطبيق في عملية المواجهة .

وكان التشريع الخاص بالحفاظ على سلامة اللغة العربية الذي اصدره مجلس قيادة الثورة علامة مضيئة في مجال التطبيق العملي لتوجه الحزب الثقافي . واصدار هذا التشريع يضع امام المثقفين وامام اجهزة الاتصال الجماهيري (الاذاعة المرئية والمسموعة ـ الصحافة وغيرها) مسؤولية كبيرة فهذه الاجهزة كما ذكر سابقا تمتلك امكانية الوصول الى الجمهور . فالاذاعة يمكنها اشاعة استخدام اللغة المبسطة بدلا من اللهجات العامية في التمثيلية والاغنية والبرنامج الاذاعي ـ وهذه تجربة مارستها اذاعة صوت الجماهير عام ١٩٧٣ وادت الى نتائج طيبة والصحافة يمكن ان تنقد اضافة الى الاذاعة والتلفزيون ـ ما تقع فيه دوائر الدولة من اخطاء بحق استعمال اللغة العربية في المخاطبات .. وهناك الكاريكاتير خير وسيلة للتعبير وللنقد .

ان مسؤولية تنفيذ التشريع الخاص بالحفاظ على سلامة اللغة العربية مسؤولية كبيرة ليس على صعيد القطر العراقي حسب وانما على صعيد الوطن العربي وذلك لان اية خطوة تقوم بها ثورة البعث في القطر العراقي لها تاثيرها على الوطن العربي اضافة الى ان تنامي الوعي الثقافي القومي يسرع فيعملية البناء الاشتراكي الذي يقوده الحزب

على طريق خلق المجتمع النموذج للثورة العربية . وهنا لابد من تأشير الدور الذي يمكن ان تلعبه المكاتب الثقافية والاعلامية في الاتحادات والتنظيمات الشعبية اذ ان ارتباطها اليومي واثناء العمل بجماهيرها يجعلها اكثر قدرة على تحويل هذا القرار الى ممارسة عملية يومية من خلال :ـ

١ ـ النشرات والصحافة التي تصدرها .

٢ ـ الندوات الجماهيرية .

٣ ـ اعتمادها البساطة في التوجه الثقافي ضمن برامجها الاعلامية والثقافية .

٤ ـ استمرارها بالعمل على محو الامية خلال الفترة التي اشرها المؤتمر القطري الثامن للحزب ..

محو الأمية
مهمة قومية ثقافية

عمل الاستعمار طوال سنوات احتلاله للوطن العربي ، ونهبه لثروات الوطن الطبيعية على تكريس الامية في الوطن العربي .

فمنذ انتهاء الدولة العباسية وما تبعها من انحدار في المستوى الثقافي واختفاء للحضارة العربية ومحاولات طمس معالم الثقافة العربية واللغة العربية ، اصبح هذا الواقع وخاصة بعد اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ واقتسام الوطن العربي بين الدول الاستعمارية معروفا في مختلف اجزاء الارض العربية ...

وكان عمل الاستعمار هذا ينسجم مع ما تسعى اليه العقلية الاستعمارية لاستمرار السيطرة ونهب الخيرات اذ انها تعي وبصورة كاملة بان وجودها يحتم ابقاء المواطن العربي سادرا في الجهل وظلام الامية والتخلف . ولكن هل كان ذلك يقتصر على الجهل بالقراءة والكتابة ؟ ان هذا السؤال يدفعنا الى التطرق الى مفهوم محو الامية وهل نعني به ، محو الامية الابجدية (القراءة والكتابة) ؟ ام محو

الامية الاجتماعية ؟ ، ام القصد منه (المفهومان) معـــا ؟

ان واقع المجتمع العربي وما عمله المستعمرون والقوى الرجعية والاقطاع على تكريس الاميـــة بمفهوميها ، يجعلنا نتوصل الى حقائق منها :

١ ـ ان الاستعمار والقـوى الرجعيـة والاقطـاع كانت تتساهل احيانا في محو الامية الابجدية ولكنها تتصلب ازاء مفهومهـا الاجتـــماعي الشـــامل .

٢ ـ ان هذه القوى كانت تسعى الى تيئيس المواطن باهمية محو الامية الابجدية وصولا الى غلق المنافذ امام وعي هذا المواطن ازاء قضـــايا مجتمعه ووطنه ..

ومن ذلك يظهر ان محو الامية يبدا بتعلـم القراءة والكتابة كوسيلة للمعرفة في ميدان اوسـع وكل فصل بين جوانب محو الامية يؤدي الى فشل لا يقتصر تاثيره على المدى الاني وانما يتعداه الـى مديات بعيدة وعلى مستوى الوطن العربي اذ ان الترابط بين محو الامية وبين التقدم الاجتماعـــي والاقتصادي واضـح .. فكلما كانت الامية منتشرة بين غالبية الجماهير ، ونعني بهم العمال والفلاحين، كان التاخير والتعثر سمة تطبيق خطط التنميـة القومية ، وكلما كانت الثقافة والتعلم صفة مميزة

لقطاع الانتاج كانت عمليات التسريع في التنفيـذ جيدة .. وهذا يعود الى ان وعي العامل المتعلم (بالمفهوم الشامل) باهمية الالة وكيفية استخدامها واهمية الوقت في التطور يدفعه الى زيادة الانتاج وكذلك الحال بالنسبة للريف وللفلاحين حيث يكون الوعي باهمية الارض وايدي الفلاحين الذين يزرعون دافعا ذاتيا للفلاح المتعلم (بالمفهوم الشامل ايضا) . لزيادة انتاجه وحبه للعمل الجماعي مـع زملائه .

وقد اشار التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي الى خطـر الامية وتفشيها وتاثيرها على التقدم ، اذ جاء فيه :

(تعتبر الامية المتفشية بين اوساط واسعة جدا من المواطنين وبخاصة في الريف من اكبر واخطر معوقات التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في البلاد . ولا يمكن رفع مستوى الجماهير في هذه الميادين وبناء مجتمع متقدم وثوري قادر على مواجهة مشكلات العصر ومتطلباته المعقدة .. كما لا يمكن لقطرنا ان يؤدي دوره الثوري الطليعي في تحريـر الامة العربية وبناء دولتها الاشتراكية الموحـــدة مـع بقـاء هـذه النسبة العاليـة من الاميـة بين صفوف شعبنا) .

وهذا الربط العلمي بين (معرفة القراءة والكتابة) وبين الوعي في بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد جعل مسالة التوجه لمحو الامية ضرورة وطنية وقومية ، وواجبا نضاليا ملحا .

المنظمات الشعبية ـ ومحو الامية :

ان اجهزة الاتصال الجماهيري المسموعة والمرئية والمقروءة يجب ان تقوم بتوعية شاملة وتسهم بشكل فاعل مع الاجهزة التربوية في توضيح معالم تاثير (محو الامية) على مستقبل الوطن والمواطن وهذا الاسهام وهذه التوعية تتفاعل مع المنظمات الشعبية والاتحادات التي بامكانها التاثير الكبير . فالاتحاد العام لنقابات العمال يتوجه الى العمال والاتحاد العام للجمعيات الفلاحية واتحاد التعاونيات يؤديان دورا بارزا في محو الامية في الريف ..

وكذلك الاتحاد العام لنساء العراق الذي يمكنه دفع جمهرة النسوة الى الانخراط بمراكز محو الامية .. اضافة الى الاتحاد العام لشباب العراق والاتحاد الوطني لطلبة العراق اللذين يملكان القدرة على تفجير الطاقات الشابة لكي تسهم في الحملة الوطنية لمحو الامية التي يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي .

وياتي انعقاد مؤتمر بغداد لمحو الامية تحت شعار (نحو حملة وطنية شاملة لمحو الامية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي) تنفيذا لقرار الحزب « بالقيام بحملة وطنية شاملة يقودها الحزب وتشترك فيها المنظمات الشعبية والقوات المسلحة ومؤسسات الدولة المختصة » . ومسؤولية نجاح هذه الحملة ، وكما اوضح التقرير السياسي لا تنحصر في مؤسسات الدولة كما كان الحال سابقا ، وانما تشمل كل المنظمات والقطاعات الجماهيرية وهي بالتالي تنعكس على شعبنا العربي في مختلف اقطاره انطلاقا من ان ثورة الحزب في القطر العراقي انما هي ثورة قومية تحمل اهدافا قومية متكاملة .

المصادر

(١) في سبيل البعث للرفيق القائد المؤسس الامين العام للحزب

(٢) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي .

(٣) احاديث في القضايا الراهنة (السيد النائب ـ كراس)

(٤) انقلوا تقاليد الحزب الى الدولة ولا تستعيروا تقاليد الدولة في الحزب . (كراس للسيد النائب)

(٥) الثورة العربية (جريدة الحزب الداخلية)

(٦) الدعاية السياسية ـ جانماري دومناك

(٧) رسائل الاعلام والتنمية القومية / وليد شرام

الفهرست

١ ـ مدخل ٣

٢ ـ الثقافة والتنظيمات الشعبية ٥

٣ ـ الاعلام وعلاقته بالتنمية والحياة السياسية للجماهير ٢٥

٤ ـ مسؤولية الاعلام في الثقافة القومية ٣٦

٥ ـ محو الامية ـ مهمة قومية ثقافية ٤٧

٦ ـ المصادر ٥٢

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الأوربية
د. فيصل السامر

٢ ـ فلسفة الفيزياء
د. محمد عبداللطيف مطلب

٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي .. الفكر والتطبيق
عزيز السيد جاسم

٤ ـ قضايا المسرح المعاصر
سامي خشبة

٥ ـ الصناعات البتروكيمياوية ومستقبل النفط العربي
د. محمد ازهر السماك

٦ ـ الثورة والديموقراطية
صباح سلمان

٧ ـ دانتي ومصادره العربية والاسلامية
عبدالمطلب سالح

٨ ـ الطب عند العرب
د. عبداللطيف البدري

٩ ـ انغولا .. الثورة وابعادها الافريقية
حلمي شعراوي

١٠ـ معالجات تخطيطية لظاهرة التحول الحضري
د. حيدر كمونه

١١ـ مصادر الطاقة
د. سلمان رشيد سلمان

١٢ـ التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي الحديث
طراد الكبيسي

١٣ـ التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية
د. نوري جعفر

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
لسنة ١٩٧٨

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م